الإنيادة . الملحمة الشعرية الخالدة

قراءة في الوصف العام ومدى تأثيرها غير المباشر على الثقافة العربية*

Mahmoud HARIRI**

ملخص:

الإنيادة هي ملحمة شعرية لاتينية، تسطر بأحداثها تاريخ الامبراطورية الرومانية. تروي لنا من خلال قصة أسطورية أصل الشعب الروماني قبل تأسيس روما بوقت كبير. تتبع أهمية هذه الدراسة لكونها توضح الالتباس الذي يقع فيه عدد كبير من القراء، حيث يخلطون بين الإنيادة لفرجيل الروماني والإلياذة لهوميروس اليوناني، كما أنّ الإنيادة تعتبر من الملاحم التي لم تأخذ حَقّها على المستوى العربي. أمّا إشكالية هذه الدراسة فتكمن في الإجابة عن الأسئلة التالية: ماهي الملحمة الشعرية وما أهم سماتها؟ ماهي الإنيادة وما الذي يميّزها عن سابقتها من الملاحم؟ ماهو التاريخ الحقيقي للإنيادة وما سماتها الفنية العامة؟ وماهو تأثيرها غير المباشر على الفكر والأدب العربي؟ وقد توصل الباحث في نهاية هذه الدراسة إلى أنّ الإنيادة ليست مجرد ملحمة شعرية خطّها فيرجيل على شكل قصيدة؛ بل هي معتقد راسخ عند الرومان وأهم مصادر اللغة اللاتينية عند النحاة والكتّاب. أخيراً فإن ملحمة الإنيادة تركت بصمة واضحة في الأدب والفكر العربيين من خلال الترجمة والنقد والتحليل الأدبي والأعمال الفنية، واستمرار دراسة وتأمل هذا التأثير يعزّز من الفهم العميق للعلاقات الثقافية والأدبية بين الحضارات.

الكلمات المفتاحية: الإنيادة، فيرجيل، ملحمة شعرية، الرومان، الفكر والأدب العربي.

* Makale Geliş Tarihi / Received: 28.05.2024 / Makale Kabul Tarihi / Accepted: 05.07.2024

** Mahmoud HARIRI, Artuklu Üniversitesi, İslami İlimler Fakültesi, Arap Dili ve Belagatı Anabilim Dalı, mahmud.antep@hotmail.com

Aeneis Destanı'nın Arap Kültürü Üzerine Etkisi Hakkında Analitik Bir Değerlendirme

ÖZ

Aeneis, Roma İmparatorluğu'nun tarihini Latince anlatan epik bir şiir mahiyeti taşımaktadır. Roma'nın kuruluşundan çok önce Roma halkının kökenini mitolojik bir hikâye aracılığıyla anlatmaktadır. Bu çalışmanın amacı, Vergilius 'un Aeneis'i ile Homeros'un İlyada'sını birbirine karıştıran pek çok okurun içine düştüğü kafa karışıklığına açıklık getirmektir. Bu bağlamda Aeneis'in Arap dünyasında hak ettiği değeri görememiş destanlardan biri olarak görülmesi de eklenebilir. Bu çalışma; destan nedir ve en önemli özellikleri nelerdir, Aeneis nedir ve onu diğer destanlardan ayıran özellikler nelerdir, Aeneis'in gerçek tarihi ve genel sanatsal özellikleri nelerdir, Arap düşünce ve edebiyatına dolaylı etkisi nedir gibi sorulara cevap aramaktadır. Bu çalışmanın sonunda araştırmacı, Aeneis'in sadece Vergilius tarafından nazım formunda yazılmış şiirsel bir destan olmadığı; aynı zamanda Romalılara ait köklü bir inanç dayanağı ve Latin dilinin en önemli kaynaklarından biri olduğu sonucuna varmıştır. Son olarak, Aeneis destanı çeviri, eleştiri, edebi analiz ve sanatsal çalışmalar yoluyla Arap edebiyatı ve düşüncesi üzerinde açık bir iz bıraktığı söylenebilir. Bu etkinin devamlı bir şekilde incelenmesi ve üzerinde düşünülmesi, medeniyetler arasındaki kültürel ve edebi ilişkilerin derinlemesine anlaşılmasını katkı sunabileceği düşünülmektedir.

Anahtar Kelimeler: *Aeneis, Vergilius, Epik Şiir, Romalı, Fikir ve Arap Edebiyatı.*

The Aeneid - The Immortal Poetic Epic and Its Indirect Influence on Arab Thought and Literature

ABSTRACT

The Aeneid is a Latin epic of poem that records the history of the Roman Empire. Through a mythical story, it talks about the Roman people origin long before the foundation of Rome. The importance of this study stems from the fact that it clarifies the confusion of a large number of readers who confuse between the Aeneid of the Roman Virgil and the Iliad of the Greek Homer. The Aeneid is also considered one of the epics that did not take its right on the Arab level. This study is an attempt to answer the following questions: What is an epic poem and what are its most important features? What is the Aeneid and what distinguishes it from previous epics? What is the true history of the Aeneid and what are its general artistic features? The researcher concluded that the Aeneid is not just an epic poem written by Virgil but rather it is a firm belief of the Romans and the most important source of the Latin language for grammarians and writers. Finally, the Aeneid epic had a clear impact on both Arabic thought and literature through translation, criticism, literary analysis, and artistic works. Continuous studies and contemplation of this influence will enhance understanding of cultural and literary relations between civilizations.

Keywords: *The Aeneid; Virgil; Epic Poetry; The Romans; Arab Thought And Literature*

1. مقدمة:

لقد عرفت البشرية الملحمة الشعرية على امتداد عصورها التاريخية، حيث تعدّ من أقدم الأعمال الفنية التي سجّلها تاريخ الأدب، ويرجع تاريخها إلى مئات السنين قبل الميلاد، حيث وصلت إلينا الملاحم الإغريقية: كالإلياذة والأوديسه لهوميروس، والملاحم الرومانية كالإنيادة لفرجيل، والملاحم الهندية كالمهابارتا والراماينا لفالميكى، والملاحم الفارسية كالشاهناما للفردوسي، وأيضاً الإيطالية كالمهابة الإلهية لدانتي والإنكليزية كالفردوس المفقود للمتون وغيرها...

والملحمة الشعرية هي شعرٌ قصصيٌّ طويل، يروي لنا حكاية أبطال خارقين يصوّرهم الشاعر في معظم الأحيان على هيئة نصف إله، ويقصّ من خلالهم تاريخ شعب من الشعوب أو أمة من الأمم بأسلوبٍ خياليٍّ أشبه ما يكون بالأساطير. وتعدّ ملحمة الإنيادة للشاعر بوبليوس فرجيليوس الشهير باسم فيرجيل من أشهر الملاحم الشعرية في تاريخ الآداب العالمية، وقد كتبها فيرجيل في السنوات العشر الأخيرة من عمره بطلبٍ من مؤسس الامبراطورية الرومانية أكتافيوس، حيث أصبحت هذه الملحمة فيما بعد ملحمة الرومان القومية التي تعرض عظمة وأمجاد البطولات في تاريخ روما منذ نشأتها في عهد أغسطس.

2. تعريف الملحمة الشعرية:

لغةً: الملحمة: الواقعة العظيمة القتل، وقيل موضع القتال وألحمت القوم إذا قتلتهم حتى صاروا لحماً، وألحم الرجل إحماء، إذا شبت في الحرب ولم يجد مخلصاً، وقيل من اللحم

لكثرة لحوم القتلى فيها ... والملحمة: الحرب ذات القتل الشديد ... والوقعة العظيمة في الفتنة.¹

اصطلاحاً: "قصة شعرية موضوعها وقائع الأبطال الوطنيين العجيبة التي تبوئهم منزلة الخلود بين بني وطنهم، ويلعب الخيال فيها دوراً كبيراً، إذ تحكي على شكل معجزات ما قام به هؤلاء الأبطال وما به سموا عن الناس، وعنصر القصة واضح في الملحمة، فالحوادث تتوالى متماشية مع التطورات النفسية التي يستلزمها تسلسل الأحداث، ولكل ملحمة أصل تاريخي صدرت عنه بعد أن حُرِّفَتْ تحريفاً يتفق وجوّ الخيال في الملحمة، وهي محكمة لشعبٍ يخلط بين الحقيقة والتاريخ مما يسبغ أن تحدث خوارق العادات، وأن يتراءى للإنس والجن أو الآلهة، والأبطال فيها يمثلون جنسهم وعصرهم ومدنيتهم"²

3. خصائص الملحمة الشعرية:

أ- الحجم الضخم: من أهم سمات الملحمة الشعرية حجمها الضخم؛ فالملحمة هي قصة شعرية موسّعة ومطوّلة، وعادةً يتم تقسيم كل ملحمة إلى عدّة كتب، على سبيل المثال: تم تقسيم ملاحم هوميروس إلى أربعة وعشرين كتاباً، وبالمثل تم تقسيم كتاب جون ميلتون الفردوس المفقود إلى اثني عشر كتاباً، ونرى ذلك جلياً عند فيرجيل عندما قام بتقسيم هذه الملحمة إلى اثني عشر كتاباً أو قسماً.

¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة لحم، ج 13، دار صادر، ط 1، بيروت، لبنان، 2000م، ص 182.

² محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نضضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م، ص 90.

ب- التماسك النَّصِّي: تتميز القصائد الملحمية بالاندفاع والتدفق في سرد القصة والوحدة المتناسكة بين مختلف أجزاء الملحمة، ونلاحظ ذلك عند فيرجيل في ملحمة: ((كم هي جاهلة عقول البشر، بمستقبل الأحداث والقدر.

وبفضيلة الالتزام بالحدود في لحظة النشوة والظفر .

نعم فسيأتي دور تورنوس يوماً ما.. ليعلم ما قد جهل)).

ت- البطل محور الملحمة: وهذه ميزة أساسية أخرى للملحمة؛ فهي حقيقة أنّها تتناول إنجازات بطل تاريخي أو تقليدي، أو شخص ذو أهمية وطنية أو دولية، فكلّ ملحمة تمجّد البسالة والأفعال والشجاعة وشخصية البطل؛ الذي يتمتع بصفات جسدية وعقلية لا تصدق، ومثال ذلك واضح في الإنيادا: ((يا لسعادة أولئك الذين سقطوا تحت أسوار طروادة أمام أعين آبائهم، وددت لو أنّ الأرباب سمحت لك بقتلي يا ذيوميذ، يا أشجع الإغريق وأبسلهم، لسقطتُ إذن كما سقط هكتور برمح أخيل، وكما سقط سرفيدون الطويل النجاد، أو كجميع أولئك المحاربين الأبطال، الذين حمل سيمويس جثثهم، ودحرجها إلى البحر!))³

ث- المزج بين القوى البشرية والقوى الإعجازية الخارقة: وهي خاصية تميز الملاحم الكبرى وتمثّل في شخصية البطل الذي جاء نتيجة زواج أم من البشر بأب من الأرباب أو الكائنات غير البشرية، كمخاطبة جينو للملك قائله: ((أيها الملك أوليوس! يا من أقامه جوييتز ملكاً على الرياح، إنّ شعباً ممقوتاً مّيّ يمحّر الآن بحر توسكان، فأرخ لعواصفك

³ عنبرة سلام الخالدي، الإنيادا لفرجيل، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1978م، ص61.

العنان وادفعها إليهم لكي تغرق سفنهم في أعماق البحار، وأصغ إلى ما أعدك به، إنَّ لي من الوصيفات القوائم على خدمتي اثنتي عشرة، ذوات دَلَّ وجمال، وسأمنحك ذيوفا أبرعهن جمالاً لتكون لك زوجاً)).⁴

ج- المبالغة: هي جزءٌ مهمٌّ من الملحمة؛ حيث يستخدم الشاعر المبالغة في الكشف عن براعة البطل، فالشاعر لا يفكر مرتين في استخدام المبالغة لإحداث انطباعٍ قويٍّ لدى الجمهور، وهذا بدا واضحاً في خطاب افاندر لاينياس: ((ليت جوبيتر يرجع إلي ما مضى من أعوام، حينما فتكتُ بالملك أرولوس، الذي وهبته أمه حين مولده ثلاث حيوات، فكان يجب أن يُقتل ثلاث مرّات ليقضي نخبه، وقد قتلته ثلاث مرّات، فلو رجعت لي أعوامي لما فارقتك يا بني، ولا جراً ميزنتيوس الشرير على قتل هذا العدد من رجاليو لتجنّب الأرباب الآن دعائي)).⁵

ح- خرق الطبيعة: هي سمةٌ لا بدَّ منها في كلّ ملحمة، وبدون استخدام عناصر خارقة للطبيعة لن تنتج ملحمة عظيمة تحدث أثراً في نفس المتلقّي.

خ- الأخلاق: هي السمة الرئيسية للملحمة، والهدف الأول للشاعر من كتابة ملحمة هو إعطاء درسٍ أخلاقيٍّ لقراءه، وهذا ما نجده في قول أوريالوس: ((كلاً يا نيزوس إنني لن أدعك تذهب وحيداً، ولن تتركني، فإنّ والدي أوفلتيس لم يدبرني على سفالةٍ كهذه،

⁴ عنبرة سلام الخالدي، الإنيادة لفرجيل، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1978م، ص60.

⁵ عنبرة سلام الخالدي، الإنيادة لفرجيل، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1978م، ص183.

ولم أحمل نفسي على مثلها في صحبتك، وحقاً إنني أحسب أن الحياة تستحق أن تضحي في سبيل شرف كهذا))⁶.

د- العظمة والأناقة: تتميز كل ملحمة بالعظمة والأناقة والنبيل، ولا يتم استخدام لغة تافهة أو شائعة أو عامية في الملحمة، فالشاعر يقوم باستخدام كلمات سامية لوصف الأحداث.⁷

4. من هو الشاعر الروماني فيرجيل؟

فيرجيل شاعر البطولة والقصائد القصصية الطويلة في الأدب الروماني، واسمه بالكامل (بوبليوس فرجيليوس مارو) وقد ولد في أسرة فقيرة بسيطة الحال ولعل هذا ما دفعه إلى الدراسة والثقافة والاطلاع على التراث الروماني القديم، فأقبل على دراسة كتب النحو والصرف والفلسفة والبلاغة، وكذلك قراءة مؤلفات كبار أدباء عصره.

درس فيرجيل الأدب والرياضيات والطب وتأثر بأستاذه الفيلسوف سيرو الأبيقوري، فدأب على حضور حلقاته الفكرية واقترب من فلاسفة وأدباء عصره، وعاش يقرأ ويتأمل الحياة ويفكر في كتابة قصائد تعبر عن أحلام وطنه ووجدان قومه.

بدأ فيرجيل في كتابة القصائد الرعوية، وهي نوع من الشعر يخلق جوّاً ريفياً يكتب فيه الرعاة مجموعة مختلفة في الغزل والرثاء والوصف، ويرجع الفضل إلى فيرجيل في كتابة

⁶ عنبرة سلام الخالدي، الإنيادة لفرجيل، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1978م، ص193.

⁷ ينظر: محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار نضرة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، القاهرة، 2008م، ص122. 125.

القصائد الرعوية في الأدب الروماني، وإن كان قد بالغ في التصوير إلى حدّ التكلّف والصنعة. وقد تمعّن فيرجيل في واقع روما فتألم لهذا الصراع القائم بين الناس على النفوذ والسلطة والمال فحاول أن يخفّف من حدّة المؤامرات بإيقاظ الحلم الجميل لدى هؤلاء الغارقين في نيران الحقد والغيرة والألم. وقد كتب فيرجيل أيضاً الملحمة الزراعيّة التي تُمجّد العمل، حيث أنّ الفترة التي عاش فيها فيرجيل كانت فترة تقاعس السكّان عن العمل الجادّ بسبب منح الدولة الأراضي لهم، وهنا حاول فيرجيل أن يجعل قيمة العمل أقرب إلى العبادة والإصلاح الذي تأمر به الآلهة ليصبح الرجل مواطناً شريفاً.

بعد الملاحم الرعويّة والزراعيّة انطلق فيرجيل يحلم بنوعٍ آخر من الملاحم لكي ينفذ من خلالها الغبار عن أمجاد وطنه وتراثه العريق، ومن هنا جاءت فكرة ملحمة الإنياده والتي قامت على فكرة الحروب الطرواديّة والإيطاليّة والتقاليد الشهيرة لليونان. وتتألّف الملحمة من حوالي عشرة آلاف بيت من الشعر نقل فيها فيرجيل أحداثاً من ملحمة هوميروس في الإلياذة وقام بمزجها بالتقاليد الرومانيّة والعادات الشائعة والقيم التراثيّة لبلاده، ورغم هذا الجهد الإبداعي الكبير داهم المرض فيرجيل فلم يتمكن من وضع نهاية لهذه الملحمة، ورحل تاركاً في تراث الأدب الروماني ثروةً إبداعيةً مازالت مصدر إلهام للشعوب في أنحاء العالم.⁸

5. الإنياده (ملحمة فيرجيل الخالدة):

هي ثلثة الملاحم الإنسانيّة الكبرى من بعد الإلياذة والأوديسه للشاعر الإغريقي هوميروس، وهي ثالث وآخر أشعار فيرجيل حيث "تروي قصصاً أسطوريّة تصوّر أصل

⁸ علي عبدالفتاح، أعلام في الأدب العالمي، مركز الحضارة العربيّة، ط1، القاهرة، 1999م، ص9-10.

الشعب الروماني قبل تأسيس روما بزمن طويل، وقد نُظِّمَت بطريقة الشعر البطولي⁹. والشاعر فيرجيل كتب ملحتمته الإنيادة في الأعوام العشرة الأخيرة من عمره، ومن هنا نجد هرمان بروخ يجعل من موت فرجيل نهايةً لها ونهاية حياة كاتبها، ويصوّر لنا أيام الكاتب الأخيرة وهو يتساءل عن جدوى ما فعل مطالباً بإحراق النص. أمّا ما فعله فرجيل فكان في الحقيقة استجابةً للتحدي الذي كان هوميروس الإغريقي يطرحه على الرومانيين. فهؤلاء كانوا يشعرون بالدونية لأنّ للإغريق ملحمتين ولا يمتلكون هم واحدة. ومن هنا تصدّى فرجيل للتحدي غير خافٍ ذلك وكتب حكاية البطل إنيا (ومن هنا اسم الملحمة "إنيادة") وهو يتجوّل في تيهه بعد انتهاء الحروب الطروادية. والحقيقة أنّ استجابة فرجيل للتحدي وصلت به ليس فقط إلى استعادة أجواء ملحمتي هوميروس نفسها، بل إلى استعارة عنوانيهما كعنوانين للقسمين اللذين تنقسم إليهما ملحمتهم؛ فالقسم الأول يحمل بالتحديد عنوان "أوديسا"، فيما يحمل القسم الثاني عنوان "إلياذة"¹⁰.

وقد قام الشاعر فيرجيل بتقسيم هذه الملحمة إلى اثني عشر كتاباً أو قسماً، حيث روى لنا في القسم الأوّل منها قصّة آنياس الذي اقترب من الأرض الموعودة في الغرب، فأخذت الرياح تضرب سفنه وتلقي بها على الساحل الإفريقي، وهنا يظهر أنّ يونو زوجة جوبيتر هي التي أرسلت هذه العاصفة وسببت كلّ هذه الفوضى لأنّها تكره طروادة وسلالتها، وتستقبل ديدو الطرواديين في مملكتها المؤسسة حديثاً. وفي القسم الثاني تظهر

⁹ عنبرة سلام الخالدي، الإنيادة لفرجيل، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1978م، ص7.

¹⁰ ابراهيم العريس، 28 سبتمبر 2020م صاحب "الإنيادة" يستعير من هوميروس ليدعو إلى السلام

<https://www.independentarabia.com/node/155496/%>

مأدبة حافلة أعدتها ديدو لاينياس حيث يروي لها الأخير قصة سقوط طروادة وقصة الحصان الخشي وكيفية هروبه من ركاب الحريق بأمر الآلهة ومعه والده أنخيسيس وابنه أسكانيوس وآلهة البيئاتيس الطروادية. وفي القسم الثالث ذكر لنا فيرجيل قصة نزول آينياس على ساحل أكتيوم الموطن الجديد للعراف الإغريقي هيلينوس وينتهي بموت والد آينياس أي أنخيسيس في صقلية. أمّا في القسم الرابع فترغب يونو في إحباط خطة إقامة طروادة الجديدة في إيطاليا، حيث وحدت جهودها مع آلهة الحب والجمال والتناسل فينوس بهدف إخضاع آينياس لحب الملكة الفينيقية ديدو، علماً أنّ هذه الملكة عاهدت نفسها على ألا ترتبط بأي رجل بعد وفاة زوجها سيخايوس لكنّها تقع في حب آينياس وتنقض عهدها وتحاول إبقاء محبوبها إلى جوارها حتى وصل الأمر إلى أنّ جوبيتر اضطرّ لأن يذكر آينياس برسالته السماوية على لسان رسوله ميركوريوس، فاستيقظ من غفوته وأحلامه وقرّر الرحيل وباءت كلّ جهود ديدو بالفشل فلعلت حظّها وانتحرت.¹¹

في القسم الخامس من الملحمة نلاحظ أنّ فيرجيل خصّص معظمه لعرض الألعاب التي أقامها آينياس بعد عودته إلى صقلية احتفالاً بمرور عامٍ على وفاة أبيه، وينتهي هذا القسم بإنقاذ بعض سفن آينياس بمعجزة من الحريق الذي اشتعل في الأسطول بإيعاز من يونو.¹²

¹¹ أحمد عثمان، الأدب اللاتيني و دوره الحضاري، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع 141، سبتمبر 1989م، ص194.

¹² ابراهيم سكر، الإنياذة لفرجيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، 1994م، ص43.

وفي القسم السادس يرسو أسطول آينياس مراسيه في كوماي بإيطاليا، وتقوده الكاهنة سبيلا بعد أن يتزوّد بالغصن الذهبيّ السحريّ حيث يدخل العالم السفليّ عند بحيرة افيرنوس، وهناك يلتقي بالكثيرين ومنهم ديدو حبيته الفينيقية المنتحرة، ثم يلتقي بوالده في الإليسيوم مقام السعداء والمباركين ويطلعه أبوه على الأرواح التي ستولد يوماً ما في روما ثمّ تنمو وتكبر وتصبح شخصيات ورجالات التاريخ الروماني منذ تأسيس المدينة وحتى عصر أوغسطس. ويقول فرجيليوس على لسان أنخيسيس في فقرة مشهورة من القسم السادس،
بيت ٨٤٧ وما يليه:

(قد ينحت الآخرون - بمهارة أكثر تفوقاً - تماثيل من البرونز

يجري في عروقها الدم، إني أؤمن بذلك حقاً

وقد يشكّلون من الرخام وجوهاً تنبض ملامحها بالحياة

وفي ساحات القضاء قد يصوغون عبارات الدفاع ببراعةٍ أكثر

قد تصف أقلامهم أفلاك السماء ومداراتها، وقد يلمّون بمطالع النجوم.

أمّا أنت أيها الرومانيّ فرسالتك هي أن تحكم شعوب الدنيا بسلطانك

وبراعتك هي أن تنشر أسس السلام وتعفو عن المغلوبين وتدحر

المتغطرسين)¹³

¹³ أحمد عثمان، الأدب اللاتيني و دوره الحضاري، مصدر سابق، ص 195.

ونلاحظ في هذا القسم "أن فرجيل أصبح أكثر غنى وثراءً وبُعداً عن التقل والتقليد، فقد جمع فيه كل ثمار دراسته وثقافته وإطلاعه عن الأساطير والنبوءات والطقوس والتاريخ والفلسفة ووضعها جميعاً في تلك الصورة الخيالية الرائعة التي صوّر بها رحلة آينياس إلى العالم الآخر"¹⁴

في القسم السابع من الملحمة يعود آينياس لرفاقه ويتابعون رحلتهم إلى مصب نهر التير، وينزلون بإقليم لاتيوم الذي يحكمه لاتينوس، وكان لهذا الحاكم ابنة تسمى لافينا حيث تنشأ بين آينياس ولافينا علاقات ودية، غير أن الآلهة جونو كانت للطرواديين بالمرصاد فتثير تورتنوس الذي يقوم بتسليح أهل لاتيوم لمحاربة الغزاة الدخلاء، وتعاونه في ذلك أماتا زوجة لاتينوس وأم لافينا، الأمر الذي يضطر لاتينوس أن يعلن سخطه عليهم جميعاً ويغلق القصر على نفسه.¹⁵

أما في القسم الثامن فيسعى آينياس إلى توسيع دائرة حلفائه، حيث قام أفاندر حاكم المكان الذي تقوم عليه روما فيما بعد بتزويد الطرواديين بقوات تحت قيادة ابنه الشاب بالاس، وبطلب من فينوس صنع فولكانوس إله الصناعة والحدادة أسلحة آينياس ومن بينها الدرع الذي زينته مشاهد تنبؤية تبشر بمستقبل التاريخ الروماني المجيد. وفي القسم التاسع يشدد تورتنوس الضغط العسكري على الطرواديين منتهزاً فرصة غياب آينياس عن الساحة، ويحاول كل من نيسوس وصديقه يوريالوس أن يشقوا طريقاً بين صفوف العدو ليصلا إلى آينياس ويحيطانه علماً بالموقف، ولكنهما وبسبب تهور يوريالوس يدفعان حياتهما

¹⁴ ابراهيم سكر، الإنيادة لفرجيل، مصدر سابق، ص 44.

¹⁵ ابراهيم سكر، الإنيادة لفرجيل، مصدر سابق، ص 56.

ثمنا لهذه المغامرة. وفي اليوم التالي يخوض الطرواديين معركة خاسرة للمرة الثانية. وقد بدأ القسم العاشر باجتماع الهَيّ علوي حيث يؤنّب جوبيتر كلاً من يونو وفينوس لتدخلهما في الصراع بين البشر. وفي نفس اليوم مضت الحرب الأرضية دون تدخل إلهي، وكان آينياس قد عاد إلى ساحة الوغى وحدث أن كان تورنوس قد أحرز نصراً سهلاً على الشاب الصغير بالاس فقتله واستولى على أسلحته و مثل بجثته، فيصر آينياس على الانتقام لبالاس من قاتله، وتحاول يونو إنقاذ تورنو، وعندئذ يجد آينياس غريباً جديداً وقويّاً في شخص ميزينيتيوس فيدفع لآوسوس حياته ثمنا عندما حمى ظهر أبيه آينياس الذي انسحب من المعركة على إثر جرح أصابه.¹⁶

يبدأ الكتاب أو القسم الحادي عشر "بعقد هدنة يتم فيها دفن جثث القتلى وإقامة الطقوس الجنائزية لهم، ثمّ يعقد اللاتين مجلساً لمناقشة الموقف الحربي، حيث يقترح أحدهم وضع حدّ لهذه الحرب بأن ينازل تورنوس آينياس في مبارزة فردية، ولكنّ هذا الاقتراح لم يلق التأييد الكامل أمام نصيحة تورنوس بضرورة محاولة القيام بمعركة أخرى. وعلى كلّ فإنّ هذا المجلس يفضّ على عجل؛ إذ وصلته أنباء بأنّ الطرواديين يهاجمون المدينة، فيهرع الجميع إلى القتال وعلى رأسهم تورنوس، وبعد معركة طويلة يتراجع اللاتين إلى مدينتهم في فوضى واضطراب"¹⁷

ويبدأ القسم الثاني عشر والأخير "بالاستعداد للمبارزة الفردية حيث خضع تورنوس لذلك بعد أن انفضّ الحلفاء من حوله، ودخل آينياس المدينة عنوة، وبالتالي لم تعد يونو

¹⁶ أحمد عثمان، الأدب اللاتيني و دوره الحضاري، مصدر سابق، ص196.

¹⁷ ابراهيم سكر، الإنياذة لفرجيل، مصدر سابق، ص58.

قادرة على أن توقف سير القدر. وفي النهاية يُهزم تورنوس في المباراة ويطلب الرحمة، ويميل آينياس للعبو عنه لولا أن تقع عيناه على الأسلاب الحربية ولاسيما أسلحة بالاس التي يتسلّح بها تورنوس، فيعرف أنه ليس من الصواب أن يعفو عنه، وبالضربة القاضية التي يتلقاها تورنوس تنتهي الإنيادة¹⁸.

6. إضاءات حول الإنيادة:

كان الشاعر فيرجيل ينوي أنّه إذا مات قبل أن يُتمّ أجزاء الإنيادة فسيحرقها ويطعم ما كتبه للنيران، لكنّه عدل عن رأيه وتركها لصديقيه فاريوس روفوس وبلوتوس توكا بشرط ألا ينشرا ما كتبه، ولكنهما اضّطرا بأمرٍ من أوغسطس لإذاعتها على الملأ بعد مراجعتها وتدقيقها وحذف مالا ضرورة له دون إضافة شيء. وقد لقيت ملحمة الإنيادة ترحيباً عظيماً بمجرد ظهورها كمنظومة حماسية وطنية لاتقلّ في أهميتها عن منظومات هوميروس. ومرجع هذا الإعجاب والترحيب هو هدف المنظومة الوطني وما تحويه من تمجيدٍ شعريّ لمنبت الشعر الروماني في مخاطر آينياس. وقد كان بالإمكان القضاء على كلّ نقاط الضعف في الإنيادة لو أنّ مؤلفها قام بمراجعتها شخصياً قبل نشرها. والذي يثير دهشة القارئ هو الكمّ الهائل من الفنّ المستخدم في صوغ تلك المادّة الغزيرة التي جمعها من كتب الإغريق والرومان وصاغها نظماً ونثرًا، إضافةً إلى روعة اللغة والوزن.¹⁹

¹⁸ أحمد عثمان، الأدب اللاتيني و دوره الحضاري، مصدر سابق، ص 197.

¹⁹ ينظر: أمين سلامة، أناشيد الرعاة لفرجيل، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1988م، ص 37 - 38.

وقد برع فيرجيل في تصوير أقدار الأفراد على نحو رومانسيّ كما هو الحال بالنسبة لمصير ديدو ونيسوس ويوريالوس وإفاندر وبالاس رميزينتيوس ولاوسوس وكاميللا، حتى أنه يمكن القول إن صياغة أقدار هؤلاء الأفراد كلّ على حدة وبهذه الطريقة البارعة يعدّ من أروع إنجازات فيرجيل. وإنّه لشيءٌ نادر في الأدب اللاتيني وصف موت بعض الشبان مثل: يوريالوس وبالاس وكاميللا؛ فلم يسبق فيرجيل شاعرٌ آخر في قوة تأثير هذه المقطوعات التي تتناول هذه الأحداث. يضاف إلى ذلك أنّ هذه الأحداث الجانبية تؤدّي وظيفة أخرى هي المساهمة في البناء الكلّي للملحمة، ولم يكن هجر آينياس لديدو هو سبب العداوة التقليديّة بين روما وقرطاجة كما يردّ عند نايفيو، بل إنّ وجودها لا ينتهي بمجرد أنّ هجرها آينياس؛ فهي تلتقي به في العالم السفلي في الكتاب السادس وتشيح عنه بوجهها وتتركه ويظلّ شبّحها يطارده حتى نهاية الملحمة. إنّها تبدو في الملحمة كأثما الأضحية التي تقدّم على مذبح الإمبراطورية الرومانية.²⁰

7. تاريخ ملحمة الإنيايه:

الرومان القدماء مرّوا بثلاث مراحل تاريخيّة: الأولى كانت مرحلة الرعاة المحاربين، وهم عبارة عن قبائل بربريّة إذا قيست بالإغريق في تلك الأزمنة. سكنوا في التلال المحيطة بنهر التيبير، وفرضوا المكوس على التجّار، بالإضافة إلى غاراتٍ قبليّة، إلى أن استطاعوا تأسيس مدينة روما، وأقاموا حكماً ملكياً (753 . 509 ق.م)، لكنّهم ما لبثوا أن ضاقوا ذرعاً بملوكهم (وخاصّةً بعد حادثة لوكريسيا الشهيرة) فهبّوا ضدّ ملوكهم وطردوهم من بلادهم

²⁰ ينظر: أحمد عثمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، مصدر سابق، ص203.

وأقاموا حكماً جمهورياً (من 509 حتى 31 ق.م). ثم انقلبت الجمهورية إلى إمبراطورية أخذت تتسع حتى صارت عالميّة (من 31 ق.م وحتى انهيارها عام 476 م)، وأوّل ملوك الرومان هو رومولوس وليس هناك ذكر لآينياس في التاريخ، وعندما أراد فيرجيل أن يكتب ملحّمته أدخل التاريخ فيها وفق رؤيته الأدبية أو الأخلاقية، فهو لا يريد أن يكون الرومان من الرعاة المحاربين، بل من أصل طروادي، ولذلك يبدأ من دمار طروادة ورحلة آينياس مع أبيه ولفيف من بقي من الطرواديين منقّداً أوامر أمه فينوس، التي نقلت إليه ما خطّه له القدر، وكيف سيّني طروادة الجديدة والمدّة التي يحكم فيها عرقه، ريثما يمهد الطريق للعرق اللاتينيّ.

من حيث التاريخ نجد أنّنا أمام مخالفة كاملة للسنة الهوميرية، فهو ميروس لم يدخل التاريخ في ملحّمته، بل اقتصر في الأولى على حدث تاريخي هو الحرب الطروادية، وفي الثانية اعتمد على بعض المرويّات التي تحدّثت عن عودة أوديسيوس فقط. أمّا فرجيل فينقلنا إلى تاريخ كامل، صاغه من مخيلته إلى أن وصل إلى التاريخ الموثق الذي يبدأ برومولوس، وهنا لم يشأ أن يطلق العنان كثيراً لمخيلته رغم أنه أعطى وليّ نعمته أوغسطس المقام الأول والأفخم بين الأباطرة.²¹

²¹ ينظر: حنا عبّود، الإنيادة والرومانتيكية، 15/06/2011 م

<https://www.startimes.com/?t=28345036>

8. تأثير الإنياده غير المباشر على الثقافة العربيّة:

تأثير ملحمة الإنياده في الفكر والثقافة العربية يمكن أن يُفهم عبر تحليل كيفية استقبال الأدب العربي للأعمال الأدبية الكلاسيكية الغربية وتأثيرها عليه، فالإنياده أثرت في الثقافة العربية من خلال عدة جوانب:

أولاً: تأثير الأدب الكلاسيكي على الأدب العربي في الترجمة والنقل الثقافي:

ففي العصور الوسطى وخاصةً في العصر العباسي، كان هناك حركة نشطة لترجمة الأدب اليوناني والروماني إلى العربية. على الرغم من أن النصّ الكامل للإنياده لم يُترجم إلى العربية في ذلك الوقت، إلا أنّ الأدب الروماني بشكل عام، بما في ذلك الإنياده، أثّر على الأدب العربي من خلال الترجمة والنقل الثقافي.

أمّا في العصر الحديث فقد تُرجمت الإنياده إلى العربية عدّة مرات في العصر الحديث، ممّا ساهم في فهم الأبعاد الأدبيّة والفكريّة للملحمة. ترجمات حديثة مثل تلك التي قام بها سامي الدروبي وحسين مؤنس جلبت الإنياده إلى جمهور أوسع من القراء العرب.

ثانياً: تأثير الأساطير والشخصيّات:

استلهم الأدباء العرب من العناصر الأسطورية الموجودة في الإنياده، مثل الآلهة والأبطال، في أعمالهم. تأثرت الأعمال الأدبية العربية بعناصر مثل الأقدار والمصائر البطولية، كما يتّضح في السير الشعبية مثل "سيف بن ذي يزن". إضافةً إلى أنّ مفاهيم البطولة والشجاعة في الإنياده أثّرت في الأدب العربي، ممّا ساهم في تطوير شخصيّات أدبيّة مشابهة

في السرديات العربيّة. ولعل رسالة الغفران لأبي العلاء المعري خير شاهد على هذا حيث "أخذت صدىً كبيراً عبر التاريخ الأدبي والثقافي ونالت اهتماماً بليغاً في العصور الوسطى وفي العصر الحديث واقتبس أفكارها أكثر من أديب ومبدع"²²

ثالثاً: تأثير الفكر الروماني في الفكر العربي:

تأثرت بعض المفاهيم الفلسفية في الفكر الإسلامي بالمفاهيم الرومانيّة المتعلّقة بالقدر والتاريخ، كما تتجلّى في الإنياداة. فهناك أوجه تشابه في كيفية تناول المصير الإلهي والإنجازات الإنسانيّة. كما أنّ نقد الأدب العربي استفاد من المناهج الرومانية واليونانية في تحليل النصوص الأدبية، ممّا أثر على طرق فهم وتفسير النصوص العربيّة. إضافةً إلى أنّ الأدباء العرب استفادوا من الأنماط السردية الملحميّة في الإنياداة لتطوير السرديات الملحميّة الخاصّة بهم. قصص مثل "عنزة بن شداد" و"سيف بن ذي يزن" تعكس استخدامات مماثلة للبنية السردية والأسلوبية.

رابعاً: تأثير الفكر الأوروبي الحديث:

خلال النهضة العربية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، بدأت تأثيرات الأدب الكلاسيكي الأوروبي تظهر بوضوح في الأدب والفكر العربي. المثقفون العرب الذين درسوا في أوروبا جلبوا معهم تقديراً للأدب الكلاسيكي، بما في ذلك الإنياداة، وأثروا في تطوير الأدب العربي الحديث. كما أنّ الإنياداة أدخلت إلى المناهج الدراسية في بعض

²² خالد الدغيم: شجون النفس عند أبي العلاء المعري (قراءة أدبية وتأملات نفسية في ديواني سقط الزند و لزوم ما لا يلزم)، سونجاج، أنقرة، ط1، 2022، ص28.

الجامعات العربيّة، ممّا ساهم في دراسة التأثيرات الأدبيّة والفكريّة للنصوص الكلاسيكية على الأدب والفكر العربي.²³

ومن أبرز من تأثروا بكتاباتهم بالأدب الكلاسيكي طه حسين وتوفيق الحكيم في رواياته ومسرحياته.

9. خاتمة:

حاولت في هذه الدراسة المتواضعة تسليط الضوء على كتاب الإنيادة لمؤلفه بوبليوس فرجيليوس الروماني بسبب عدم تناوله بالشكل الذي يتناسب ومستواه الأدبي والفني على الصعيد العربي، ولأنّ كثيراً من القراء يخلطون بين هذه الملحمة وأعمال هوميروس الملحميّة. والحقيقة أن الشاعر فيرجيل يكمل لنا ما توقّف عنده الشاعر الإغريقي هوميروس في الإلياذة والأوديسه بأسلوبٍ فنيٍّ ممتع، وقد قمنا بتعريف الملحمة الشعريّة وتوضيح أهمّ خصائصها العامّة، مروراً بتعريف موجز للشاعر الروماني فيرجيل وأهمّ محطات حياته، وصولاً لتفصيل القول في ملحمة الإنيادة بكلّ أقسامها، إضافةً للحديث عن أسلوبها الفنيّ وتاريخها الحقيقيّ، ومدى تأثيرها في الفكر والثقافة العربيّة، وكيفية استقبال الأدب العربي للأعمال الأدبية الكلاسيكية الغربية وتأثيرها عليه، وقد توصل الباحث في نهاية دراسته لمجموعة نتائج من أهمّها:

²³ ينظر: محمد عناني، الأدب وفنونه، مؤسسة هنداوي، 1984م، ص 35 - 42

- الإنيادة ليست مجرد ملحمة شعرية سطرها فيرجيل على شكل قصيدة؛ بل هي معتقد وإيمان راسخ عند الرومان حتى وقتنا الحاضر، وهي من أهم مصادر اللغة اللاتينية عند النحاة والكتّاب في روما.
- الشاعر فيرجيل من أوائل الشعراء الذين تناولوا تاريخ روما بشكل رومانسيّ جذاب، ويبدو ذلك جلياً من خلال مقطوعاته الملحمية في الإنيادة.
- استطاع فيرجيل بعباراته الكلاسيكية، وبلغته اللاتينية الرائعة، وبأسلوبه البسيط، أن يصل بالفارئ إلى أعلى درجات الانسجام والتماهي في أشعاره الملحمية الرائعة.
- الإنيادة بقيت لسنين طويلة المرجع الرئيس لأدباء أوربّا، وكان يعاد طبعها مرة كل عام على الأقل، حيث تعتبر من أكثر الكتب انتشاراً في الغرب منذ أيام الرومان.
- المتعمّق في قراءة الإنيادة لفيرجيل يلحظ أنّ الدين الحقيقي في ملحمة الإنيادة هو دين الوطنية، وأنّ الإله الأعظم الذي يقدّسونه هو روما.
- استفاد الأدباء العرب من الأنماط السردية الملحمية في الإنيادة لتطوير السرديات الملحمية الخاصة بهم.
- النقاد الأدبيون العرب قاموا بمقارنة النصوص العربية مع النصوص الكلاسيكية، مما أدى إلى تطوير فهم أعمق للنصوص العربية وتعزيز التقنيات النقدية؛ حيث تأثروا بنماذج النقد الأدبي اليوناني والروماني في تقييم الفنون الأدبية المختلفة.
- نقد الأدب العربي، استفاد من المناهج الرومانية واليونانية، ساعد في تطوير فهم النصوص الأدبية العربية، وتفسيرها، وتقديرها. هذا التأثير تضمن الاستفادة من

أدوات التحليل البلاغي، والمفاهيم الفلسفية، والمناهج النقدية، مما ساهم في تشكيل النقد الأدبي العربي وتطوره على مر العصور.

من خلال هذه النتائج يوصي الباحث بما يلي:

● دعم مشاريع لترجمات حديثة ودقيقة للإنيادة تشمل تعليقات موسعة وتحليل للنصوص يمكن أن يساعد القراء العرب على فهم الجوانب الأدبية والتاريخية والثقافية للنص بشكل أعمق.

● تدريس الإنيادة بجانب النصوص الأدبية العربية الكلاسيكية لتعزيز التفاهم بين الثقافات وتحفيز المقارنة الأدبية.

● يجب توجيه أنظار الباحثين والمهتمين في الآداب العالمية لإجراء المزيد من الدراسات الأدبية والفنية في الملاحم الشعرية القديمة، وخاصةً في ملحمة الإنيادة لفيرجيل، لعدم نيلها الحظ الكافي من الدراسات والأبحاث.

● إعطاء الشعر الملحمي بكل أقسامه وتفصيله المتشعبة؛ المكانة التي يستحقها من الدراسات والبحوث في الجامعات والمعاهد وخاصةً في مرحلة الدراسات العليا.

● يجب على الباحثين والمؤرخين العمل بشكل أكبر للكشف عن حقيقة نشأة مدينة (روما)، والتي وصلتنا فقط من خلال الأساطير وبعض الروايات، دون وجود أي شيء مادّي للاستناد إليه حول تاريخ هذه المدينة العظيمة.

● الاستفادة من ملحمة الإنيادة تتطلب جهوداً متعددة الأبعاد تشمل الترجمة والتحليل الأدبي، والتعليم، والفهم الثقافي، والإبداع الفني، والتعاون الدولي. من

خلال تنفيذ هذه التوصيات، يمكن تعزيز تقدير وفهم النصوص الكلاسيكية مثل الإنيادة في السياق العربي، مما يسهم في إثراء الأدب والفكر والثقافة.

10. قائمة المراجع:

1. ابراهيم سكر، الإنيادة لفرجيل، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، 1994م.
2. ابن منظور، لسان العرب، مادة لحم، ج 13، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 2000م.
3. أحمد عثمان، الأدب اللاتيني و دوره الحضاري، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع 141، سبتمبر 1989م.
4. أمين سلامة، أناشيد الرعاة لفرجيل، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1988م.
5. علي عبد الفتاح، أعلام في الأدب العالمي، مركز الحضارة العربيّة، ط1، القاهرة، 1999م.
6. عنبرة سلام الخالدي، الإنيادة لفرجيل، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1978م.
7. محمد عناني، الأدب وفنونه، مؤسسة هنداوي، 1984م.
8. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م.
9. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، القاهرة، 2008م.

10. ابراهيم العريس، صاحب "الإنياذة" يستعير من هوميروس ليدعو إلى السلام
28 سبتمبر 2020م. <https://www.independentarabia.com/node/155496/%>
11. حنّا عبّود، الإنياذة والرومانتيكية، 15/06/2011م.
<https://www.startimes.com/?t=28345036>
12. خالد الدغيم: شجون النفس عند أبي العلاء المعري (قراءة أدبية وتأملات
نفسية في ديواني سقط الزند و لزوم ما لا يلزم)، سونجاع، أنقرة، ط 1 ، 2022.